موقف صاحب المنار من المفسرين

محسن عبدالحميد ـ قسم الدين

لقد بلغ المجتمع الاسلامى فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر الغاية القصوى فى التأخر الحضارى ، وبدأت طلائع المستعمرين تغزو بلاد الاسلام ، وتحاول اخضاعها واحتلالها ، الخطر الذى تنبه اليه المسلمون ، فبدأوا يستيقظون على اصوات مدافعهم ليجدوا انفسهم بعيدين عن حقيقة الاسلام ، متأخرين حضاريا ، يفتك بهم الجوع والجهل والمرض • فكان لابد لهم أن ينطلقوا بقوة فى جميع مجالات الحياة ، وكان لابد لهذه الحركة الجديدة من أساس قوى ينطلقون منه ، ويبنون عليه ، فلم يجدوا هـذا الاساس الا فى القرآن ، ولكنهم رأوا أنهم لا يفهمون قرآنهم ؛ لان المسائل النحوية والبلاغية والفقهية الخلافية والكلامية الجدلية قد حجبت نوره عنهم وحالت بينهم وبين فهم مراد الله ، ومنعتهم من أن يستخرجوا منه السنن الاجتماعية ، ويستنبطوا منه النظم الحيوية • فكان لابد من تفسير ينفخ الحياة في المسلمين ، ويدفعهم الى حركة مقاومة قوية لعوامل التخلف والانحطاط فى الداخل والخارج • أجل كان لابد من تفسير جديد حقيقى لكتاب الله ينقذ القرآن من الاغلفة اللغوية والفلسفية والكلامية ، كى يرى المسلمون أنفسهم وجها لوجه أمام خطاب الله ومواعظه وسننه ، فيصلحوا من حياتهم ، ويرفعوا من انحطاطهم ، ويستعيدوا حضارتهم ، ويهيئوا صفوفهم لجهاد المستعمر المحتل ، والقضاء على عوامل التدهور المخيف •

ان هذا التفسير الجديد المنشود قد تمثل فى مدرسة الشيخ محمد عبده أجلى تمثيل ، والتى دفعت التفسير القرآني خطوات الى الامام ، وانقذته من ركامات القرون السابقة وربطته بالحياة ربطا محكما قويا بعيدا عن تصنع

مباحث الالفاظ ، ومجادلات الفقهاء ، ومناقشات الكلاميين ، وترهات علماء الهيئة والقصص الاسرائيلية ، وعالجت مشاكل المسلمين ، واثبتت أن القرآن يساير تطور الحياة فى نطاق مبادئه وضوابطه ، ويمدها بكل ما تحتاج اليها ، وناقشت شبهات المستشرقين والمبشرين وتلامذتهم من المسلمين ، وردتها ردودا قدية مفحمة[1] .

ان اشهر الذين فسروا فى اطار هذه المدرسة هو السيد محمد رشيد رضا صاحب تفسير المنار ، الذى كان تكوينه الاصلى نقليا أثريا على طريقة المتقدمين ، ثم كان اتصاله باستاذه الشيخ محمد عبده دافعا له الى التأثر بمنهجه العقلى النظرى ثم استكشف فى منهج استاذه الثغرة الكبيرة فى عدم الاهتمام بالمنهج الاثرى ، فسدها فى منهجه الجديد ، وذلك بدراسة الحديث ، وتتبع رجال التفسير بالمأثور كالطبرى وابن كثير ، فبدت على تفسيره مسحة أثرية ما كانت بادية على اجزائه الخمسة الاولى حيث نقل لنا فيها آراء استاذه الشيخ محمد عبده[2] .

ان تعانق العقل والنقل فى فكر السيد رشيد فى ملامحه الاخيرة قد حدد موقفه أمام مناهج المفسرين ، وأطلعه على الاخطاء المهمة فيها . مما أثر تأثيرا كبيرا فى منهجه ، وتوجيه المفسرين الذين جاءوا من بعده ، الامر الذى مسح الغبار الكثيف الذى كان متراكما على العقلية الاسلامية فى فهم القرآن ، باتخاذه منطلقا حضاريا كبيرا لبناء حياة المسلمين وتحديد ملامحها الجديدة .

---

(١) محمد عبده : تفسير جزء عم ص ٢ . رشيد رضا : تفسير المنار ١/٧-٣٩/٨٠١٩ الثانية جولدزيهر : مذاهب التفسير الاسلامي ٣٨٠-٣٨٥ . دائرة المعارف الاسلامية م ٥ ع ١٠ ص ٣٤ . الذهبي : التفسير والمفسرون ٣/٢١٤ ، ٢١٥ .

(٢) ابن عاشور ـ التفسير ورجاله ص ١٩٦ . الاولى .

ان أول ما يؤآخذ صاحب المنار المفسرين عليه ، هو اخضاعهم النصوص القرآنية الواضحة للمصطلحات العلمية والفلسفية والاصولية الحادثة ، دون أن ينطلقوا من ضوابط صحيحة فى التفسير اتفق عليها المحققون من علماء القرآن ، وفقهاء الامة فى تحديهم مفاهيم الالفاظ ، واستنباطهم الاحكام من مدلولات التراكيب ، وبناء الافكار الاسلامية على اتجاهات متينة متفقة مع تلكم الضوابط والاصول • ويعطينا السيد رشيد امثلة على ذلك منها ما ذهب اليه المفسرون فى قوله تعالى (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه ولما يأتهم تأويله) الى انه يدل على أن من كان غير عارف بالتأويل وقع فى الكفر والبدعة ، لان ظواهر النصوص قد يوجد فيها ما تكون متعارضة فاذا لم يعرف الانسان وجه التأويل طبق التنزيل على التأويل) والحال ان التأويل فى اللغة هو عاقبة الشىء ومآله الذى يؤول اليه من بيان مصداقه المراد منه ، فلا حاجة الى حمله على هذا المصطلح الكلامى الفنى فى فهم التأويل[٣] •

وينقد الرازى الذى قال فى تفسير قوله تعالى (قالوا لا علم لنا الا ما علمتنا انك أنت علام الغيوب) ان الرسل أرادوا أنه لم يكن لهم من حقيقة حال امهم الا الظن الذى هو ظاهر حالهم لا العلم القطعى الذى يتوقف على معرفة الظاهر والباطن •

يقول السيد (ونقول ان هذا رأى ضعيف وان بنى على اصطلاح أهل الكلام والاصول فى تفسير الظن والعلم[٤] •

ان اللفظة اللغوية تتطور من معانيها الاولى فتضحى معبرة عن جميع المعانى الملحقة التى تأتى بها ظروف الحياة المتطورة ، فلا يجوز لنا أن نقول

---

(٣) المنار ١٢/٣٧٤

(٤) المنار ٧/٢٤٣

ان القرآن باطلاقه تلك اللفظة قصد بها جميع المعانى الاضافية[٥] .

ان الخطير فى الامر أن التفسير بالمصطلح يؤدى الى اخضاع القرآن الى الآراء والمذاهب والفلسفات . وهذا معناه اخضاع كلام الله الى العوارض الحياتية المختلفة ، والاهواء البشرية المتباينة . ومن هنا ينفذ الخطأ والباطل والاعوجاج الى فهم المسلمين لكتابهم، وبالتالى لاتقوم حياتهم كاملة على الموازين الدقيقة التي أرادها الاسلام أن تكون حاكمة لحياتهم ، موجهة لسلوكهم . ولذلك فان السيد رشيد اعتبر هذا النوع من التفسير بالرأى الذى نهانا عنه الرسول صلى الله عليه وسلم (انما التفسير بالرأى هو ما يكون من المقلدين ينتحلون مذهبا يجعلونه أصلا فى الدين ، ثم يحاولون حمل الآيات عليه ولو بالتأويل والتعريف والاخذ ببعض وترك البعض)[٦] .

وقد انتبه الى خطر هذا النوع من التفسير كثير من محققى علماء هذه الامة منهم الطبرى[٧] وابن قتيبة[٨] والواحدى[٩] وابن تيمية[١٠] والآلوسى[١١] والشيخ محمد عبده[١٢] .

ويهاجم السيد بقوة اولئك الذين لم ينتبهوا الى الاساليب القرآنية الجامعة بين اقناع العقول والتأثير فى القلوب ، ولجأوا الى الفلسفة اليونانية التى أضلتهم عنها فلم يهتدوا بها ولا اقتدوا بشىء منها بل طفقوا يلقنون

---

(٥) راجع مقالنا (تفسير القرآن بالمصطلحات) فى مجلة كلية الدراسات الاسلامية ببغداد . العدد الثالث .

(٦) المنار ٣٠/ .

(٧) تفسير الطبري ١٢/٢٥٠ . الثانية . القاهرة .

(٨) تأويل مختلف الحديث ص ٨٠ ، ٨١ . القاهرة ١٣٢٦ هـ .

(٩) البسيط ٦/١ مخطوطة تحت رقم ٥٣ بدار الكتب المصرية .

(١٠) مقدمة فى اصول التفسير ص ٣٦ . الثانية القاهرة ١٣٨٥ هـ .

(١١) روح المعاني ٢١٢/١ المنيرية .

(١٢) المنار ٧١/١ .

النشىء الاسلامي صفات الله مسرودة سردا معدودة عدا ، معرفة بحدود ناقصة أو رسوم دارسة مقرونة بأدلة ونظريات وتشكيكات جدلية ، لا تثمر ايمان الاذعان ولا خشية الديان ولا حب الرحمن بل تثير رواكد الشبهات[١٣] ويقول بمناسبة أخرى (وقد اطلعنا على نظريات اليونان وغيرهم من الفلاسفة وعلماء الكلام فوجدنا اكثرها فى باب الالهيات اوهاما)[١٤] .

ونتيجة لمسلكه هذا فانه انتقد المفسرين الكلاميين المعتزلة منهم والاشاعرة انتقادا شديدا . ولم يسلم منه حتى الامام الرازى ، فعلى الرغم من انه يعتبره امام نظار المتكلمين والاصوليين فى عصره وأن علماء النظر اعترفوا له بهذه الامامة من بعده ، الا انه يقول فيه انه كان أقلهم حظا من علم السنة وآثار الصحابة والتابعين وأئمة السلف من المفسرين والمحدثين[١٥] .

وينتقد السيد رشيد كذلك المؤولين لبعض المتشابهات فى القرآن كالقلم واللوح والعرش لمخالفتهم لما كان عليه السلف من فهم هذه المسائل على ظواهرها بلا تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه ولا تمثيل ، وتفويض معرفتها الى الله تعالى ، وهو يؤكد أن الذين يؤولون ما ورد فى اللوح والقلم والعرش ليسوا ابعد عن مذهب السلف ممن يشبهون العوالم الغيبية بما يعهدون من صنع البشر فى هذا العالم المتغير[١٦] .

وينطلق السيد رشيد فى تحديد موقفه هذا من مذهب السلف الذى آمن به أشد الايمان ونصره فى تفسيره وكتاباته متأثرا فى ذلك بشيخ

---

(١٣) المنار ٨/٢٧١ .
(١٤) المنار ٧/٥٨٤ .
(١٥) المنار ١١/٣٧٦ .
(١٦) المنار ٧/٤٧١ .

الاسلام الفقيه المجاهد ابن تيمية وتلميذه الفقيه الكبير ابن القيم • استمع اليه يقول عن نفسه (ولا نعرف فى كتب علماء السنة انفع فى الجمع بين النقل والعقل من كتب شيخى الاسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله تعالى ، واننى اقول عن نفسى اننى لم يطمئن قلبى بمذهب السلف تفصيلا الا بممارسة هذه الكتب)[١٧] •

ومن هنا نرى السيد رشيد يشن حملاته الشديدة الواسعة على الصوفية وافكارهم وبدعهم رافضا تفسيراتهم الاشارية وتأويلاتهم البعيدة[١٨] • ويعزو خطأهم الى ضعفهم فى الكتاب والسنة (أما المتصوفة فقد راج على بعضهم تلك الشبهات والتأويلات لضعفهم فى الكتاب والسنة فاستمسكوا بالاحاديث الموضوعة ، وأخذوا بظواهر بعض الاحاديث والاثار الصحيحة كقول ابى هريرة المروى فى صحيح البخارى « حفظت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعائين فاما أحدهما فبثثته ، وأما الآخر فلو بثثته قطع منى هذا البلعوم يشير الى عنقه ، فجهلة المتصوفة يزعمون أن ما عندهم من علم الحقيقة هو من قبيل ما فى الوعاء الآخر من وعائى ابى هريرة ، وبعضهم يظن أن لشيوخهم سندا فى تلقى علم الباطن ينتهى الى بعض الصحابة أو أئمة آل البيت عليهم الرضوان • والذى عليه المحققون أن أبا هريرة يعنى بما كتم من الحديث أحاديث الفتن وما يكون من الفساد فى الدين والدنيا على أيدى اغيلمة من سفها قريش[١٩] •

والحق ان تفاسير الصوفية الاشارية فيها من التأويلات البعيدة الفاسدة التي لا علاقة لها بالقرآن • لانه خيال لا يضبطه ضابط ، اذ ليس

---

(١٧) المنار ٢٥٣/١ • انظر ايضا ١٧٢/٣ •
(١٨) المنار ٣٤٠/١١ ، ٣٤١ ، ٣٧٩ •
(١٩) المنار ٤٧١/٦ •

عندنا دليل شرعي أو عقلي على صحة هذه التوجيهات • ان هذا التفسير وجه من وجوه الباطنية ، وتلاعب صريح بمعاني القرآن واخراج واضح لآياته عن مقاصدها الحقيقية[٢٠] • وقد اعترف ابن عربي في مقالته عن التفسير الاشاري بذلك (فكل آية لها وجهان : وجه يرونه في نفوسهم ووجه آخر يرونه فيما خرج عنهم فيسمون ما يرونه في نفوسهم اشارة ، ليأنس الفقيه صاحب الرسوم الى ذلك ولا يقولون في ذلك انه تفسير ، وقاية لشرهم وتشنيعهم في ذلك بالكفر عليه ، وذلك لجهلهم بمواقع خطاب الحق)[٢١] •

أما التأويلات الباطنية فلقد كان صاحب المنار حريصا على تفنيدها والتنبيه الى خطرها الكبير في تشويه العقائد وهدم الشريعة • لان الباطنية فسروا ، القرآن بأعجب تفسير ، متجاهلين ضوابط التفسير كلها ، فهم زنادقة تعمدوا هدم الاسلام بالشبهات والتأويلات المشككات[٢٢] • ويقول (ولكن أهل البدع يتأولون النصوص بتأويلات تخالف مراد الله ورسوله ، ويدعون أن هذا هو التأويل الذي يعلمه الراسخون ، وهم مبطلون في ذلك لا سيما تأويلات القرامطة والباطنية والملاحدة)[٢٣] •

ولقد قام السيد رشيد في المنار بتحقيقات رائعة لتنقية التفاسير من الاسرائيليات الكثيرة والاخبار الواهية التي افسدت على كثير من المسلمين حقائق الدين ونواميس الحياة ، فكونت عندهم عقلية خرافية تصدق بكل خبر ، وتسلم بكل رواية ، دون تمحيص أو تدقيق مما يصطدم اساسا مع الاسلام الذي دعا الى التفكير والنظر (ولكن اليهود كانوا يلقون الى المسلمين أخبارا من خرافاتهم أو مخترعاتهم ليودعوها كتبهم ويمزجوها

---

(٢٠) راجع كتابنا (الآلوسي مفسراً) ص ٢٣٠ ، ٢٣١ •
(٢١) التفسير والمفسرون ٣/٣٧ •
(٢٢) المنار ٦/٤٧١ •
(٢٣) المنار ٣/١٨٩ •

بدينهم ، ولذلك نجد فى كتب قومنا من الاسرائيليات الخرافية ما لا أصل له فى العهد القديم ولا يزال يوجد فينا من يقدس كل ما روى عن أوائلنا فى التفسير وغيره ويرفعه عن النقد والتمحيص ، ولا يتم تمحيص ذلك الا من اطلع على كتب بنى اسرائيل(٢٤) .

واليهود قد تقصدوا وضع الاسرائيليات ، والدليل على ذلك عنده أن كثيرا منها مخالف لما هو متفق عليه عندهم وعند غيرهم من المؤرخين فى وقائع عملية وامور حسية ، وبذلك صدوا عموم اليهود عن الاسلام(٢٥) .

ان دراسة صاحب المنار الجيدة للحديث وعلم جرح الرجال وتعديلهم واطلاعهم الواسع على قوانين الحياة وقواعد العمران البشرى قد مكنه من نقد سند هذه الاسرائيليات وما فيها من تناقض وبطلان(٢٦) .

وخالف السيد رشيد جمهور علماء الاسلام فى تعديل كعب الاحبار ووهب بن منبه وذهب الى ان بعض الصحابة اغتروا بهم ان صحت الروايات المسندة اليهم(٢٧) . ويبلغ هجوم السيد على المفسرين الذين تلقوا عن هؤلاء أمثال السدى وغيره مداه فى قضية يوسف . فلقد ذهبوا فى قوله تعالى (وهم بها) كل مذهب فاسد ، ولم يستح بعضهم أن يروى من اخبار اهتياجه ووصف انهماكه واسرافه فى تنفيذ رغبته وتهتك المرأة فى تبذلها بين يديه ما لا يقع مثله الا من أوقح الفساق المسرفين المستهترين . فان مثل هذا الذى افتروه فى قصة هذا النبى الكريم ، لا يقع مثله ممن ابتلى بالمعصية أول مرة من سليمى الفطرة ، ولا من سذج الاعراب الذين لم تغلبهم سورة الشهوة الجامحة على حيائهم الفطرى ، وايمانهم وحيائهم من

---

(٢٤) المنار ٤/٢٦٨ .
(٢٥) المنار ١١/٤٧٤ .
(٢٦) المنار ٨/٣٥٦ ، ٤٤٩ .
(٢٧) المنار ١/٨ ، ٩ ، ١٧٥ ، ٣٤٧ ، ٣٧٥ . راجع ايضا ٢/٤٥٥ ، ٤٧١ .

نظر ربهم اليهم ، فضلا عن نبي عصمه الله ووصفه بما وصف وشهد له بما شهد وفصل فى الرد على هذا المذهب الفاسد فى التأويل ، باللغة وشواهد الكتاب والسنة[٢٨] .

وينقد صاحب المنار كثيرا من المفسرين الذين لم يعتنوا بمعرفة الملل والنحل وتاريخ اهلها ، وما كانوا عليه فى عصر التنزيل أى ما نسميه الآن بمعرفة ظروف النص ، فأوقعهم ذلك فى اثارة مشاكل اخطأوا فى فهمها وحلها والجواب الصحيح عليها . ففى قوله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وانه لفسق) استشكلوا هذه المسألة وقالوا ان المشركين لم يكونوا يحرمون ما ذكر اسم الله عليه ولا يمتنعون من أكله ولكنهم كانوا يأكلون الميتة ايضا ، فكيف نازعهم فى المتفق عليه وسكت عن المختلف فيه ؟ وأجابوا عن السؤال باحتمال أنهم كانوا يحرمون المذكاة وبجواز أن يكون المراد مما ذكر اسم الله عليه الاقتصار على المذكى دون غيره فيكون بمعنى تحريم الميتة . قال السيد (وكل من الوجهين باطل ولا محل له هنا) ورأيه ان حكمة الاهتمام بهذه المسألة وقرنها بمسائل العقائد هو أن مشركي العرب وغيرهم من أهل الملل جعلوا الذبائح من أمور العبادات ، بل نظموها فى سلك اصول الدين والاعتقادات فصاروا يتعبدون بذبح الذبائح لآلهتهم ومن قدسوا من رجال دينهم ويهلون لهم بها عند ذبحها كما يأتي ، وهذا شرك بالله لانه عبادة توجه الى غيره سواء اسمى ذلك الغير أو معبودا أم لا ؟ [٢٩] .

ويدعو السيد الى عدم الاعتماد على امثال الزمخشرى والبيضاوى والرازى فى تاريخ الاديان ، ويرى أن هؤلاء لا يعتد بما يعرفون عن النصارى فانهم لم يقرأوا ما فى كتبهم ولم يناظروهم فيها وفى عقائدهم الا

---

(٢٨) المنار ١٢/٢٨ .

(٢٩) المنار ٨/١٧ ، ١٨ .

قليلا وانما يأخذون عما فى كتب المسلمين عنهم قضايا مسلمة[٣٠] .

وفى رأيى أن صاحب المنار يبالغ فى هذه المسألة اذ وقوع هؤلاء فى فى بعض الاخطاء التاريخية عن النصارى وغيرهم لا يبرر عدم اعتمادنا عليهم ، فمسائل الخلاف معروفة بين المسلمين والنصارى كقضية التثليث والصلب وغيرها ، وليس عندنا دليل على أن هؤلاء لم يطلعوا على كتب النصارى .

ان مناظرة الرازى مع أحد علماء النصارى فى خوارزم فى التثليث والصلب مناظرة قوية وصحيحة ، والافكار التي قررها لتقرير عقيدة النصارى أولا ليست مخالفة لما يقوله النصارى فى هذه القضية[٣١] . ونستطيع أن نلاحظ هذه الحقيقة فى مناظرة ثانية بينه وبين أحد علماء النصارى فى قضية حلول الاله فى المسيح[٣٢] .

والجدير بالذكر هنا أن ما يدعو اليه صاحب المنار من الاعتماد على مصادر أهل الكتاب عند الحديث عنهم وعن عقائدهم ، قد حققه مفسر آخر قبله تحقيقا جيدا ، هو العلامة الآلوسى فى روح المعانى ، فردوده عليهم فى غاية الموضوعية والروعة ، فهو فى الحديث عنهم ومحاججته لهم يستند على كتبهم واقوالهم يرتكز عليها فى تفنيد عقائدهم[٣٣] ويؤآخذ السيد المفسرين غفلتهم عن سنن الله فى الوجود وعدم استنباطهم القواعد الاجتماعية من القرآن ففى قوله تعالى (كذلك زينا لكل أمة عملهم) غفل المعتزلة عن المعنى الحقيقي . فأول بعضهم الآية بانها خاصة بالمؤمنين

---

(٣٠) المنار ٦/٣٠٧ .

(٣١) الرازى ـ مفاتيح الغيب ٨/٨٣ ، ٨٤ . الطبعة البهية .

(٣٢) المصدر السابق ٢١/٢١٢ .

(٣٣) انظر كتابنا (الآلوسى مفسرا) ص ٢٣٠ .

«الذين زين الله فى قلوبهم الايمان ، وبعضهم بغير ذلك ، واحتج بهـا بعض الجبرية فى الظاهر والباطن معا ، وبعض الاشعرية الذين يعتقدون الجبر ويقيمون الحجج لاثباته ويتبرؤن من لفظه والانتساب الى اهله ، احتج كل منهما بانها نص فى مذهبه • والحال ان المعنى هو أن سنة الله قد مضت فى اخلاق البشر وشؤونهم أن يستحسنوا ما يجرون عليه ويتعودونه مما كان عليه آباؤهم أو مما استحوذوه بانفسهم اذا صاروا يسندون اليهم ، سـواء أكانوا على تقليد وجهل أم على بين وعلم ، فسبب التزيين فى الاجابة انسهم به وكونه من شؤون امتهم التى يعد قدحها قدحا لهـا ولهم • وذمها عارا عليها وعليهم(٣٤) •

وفى مجال الاعجاز القرآني نرى صاحب المنار يعارض بقوة جمهور المفسرين فى معالجتهـم قضية الاعجـاز ، حيث قالوا ان الله تحدى فصحاء قريش الذين هم افصح العرب ومن دونهم من سائر الخلق بالاتيان بمثل هذا القرآن فى جملته ، فلما عجزوا تحداهم بعشر سور مثله ، فلما عجزوا تحداهم بسورة واحدة مثله ، وهذا الترتيب لم يصح بـه نقل بل المروى فى ترتيب نزول السور يخالفه فان سورة هود نزلت عقب سورة يونس • وسبب غفلتهم فى نظره أنهم لم يطلبوها من التأمل فى سورة القرآن وما فيها من وجوه الاعجاز المكررة فى سوره ، لانهم اعتادوا أن يطلبوا معانيه من الروايات المأثورة على قلتها وقلة ما يصح منها ومن مدلول كل آيـة ، منها وحدها فى مفردات اللغة وجملها ، بمقتضى القواعد الفنية أو الفقهية واصولها • ومجمل رأيه فى الاعجاز اللفظي هو تكرار المعنى الواحـد بالعشرات والمئات من العبارات المختلفة فى النظم والاسلوب وبلاغة العبارة وقوة تأثيرها فى قلوب القارئين والسامعين لها ، وعـدم وقوع الاختلاف

---

(٣٤) المنار ٦٦٨/٧ ، ٦٦٩ •

بالتناقض او التعارض في شيء منها • وانما يظهر هذا الاعجاز في السور العديدة[٣٥] •

وهذا المنهج الذي سار عليه السيد رشيد من تقيد باللفظ ودراسة حياة النبي عن طريق فهم السنة ، وابعاد المصطلحات الفنية التي لا يتحملها معنى الآية ، ومسح ظروف ما حول النص ، والاطلاع على تواريخ الامم وقواعد العمران ونواميس الحياة ، والاستفادة من الدراسات العلمية والانسانية الحديثة ، وربط القرآن بالحياة ربطا محكما ، كان متأثرا فيه باستاذه الشيخ محمد عبده الذي يعود الفضل الاول في توجيهه وتنوير عقله ، وصياغة قابلياته الى استاذه العظيم ، حكيم الاسلام السيد جمال الدين الافغاني الذي دعا الى هذا المنهج المتكامل في مجالسه ودروسه وكان يعتقد أن تفسير القرآن يجب أن يجري في ظل القرآن والسنة في اثبات الحكم ، فأعمال النبي صلى الله عليه وسلم تفسير للقرآن وعمل بالقرآن • أما ما تراكم عليه ، وتجمع حواليه من آراء الرجال واستنباطهم ونظرياتهم ، فينبغي ألا نعول عليها كوحي ، وانما نستأنس بها كرأي ، ولا نحملها على أكفنا مع القرآن في الدعوة اليه وارشاد الأمم الى تعاليمه[٣٦] • ويقول ايضا (إن القرآن لا يزال بكرا وان لي كلمة ما زلت أقولها ، وهي أن سبب تقصير المفسرين الذين وصلت الينا كتبهم هو عدم الاستقلال التام في الفهم ، وما كان ذلك بلادة ، وانما جاء من أمور أهمها الافتتان بالروايات الكثيرة وتغلب الاصطلاحات الفنية في الكلام وأصوله والفقر وغير ذلك ومحاولة نصر المذاهب وتأييدها)[٣٧] •

---

(٣٥) المنار ١٢/٣٢ •

(٣٦) عبدالقادر المغربي – جمال الدين الافغاني ص ٦١ ، ٦٢ • سلسلة اقرأ •

(٣٧) المنار ٤/٢٨٠ •

وفى ختام هذا البحث أستطيع أن أقول إن قيام صاحب المنار بغربلة ما فى التفاسير ، وطرح كل ما يعيق نهضة المسلمين جانبا ، وابعاد الآراء والأفكار التي أوجدتها ظروف حضارية وتاريخية خاصة ، وتنقية الفكر الاسلامي منها ومن أوزارها ، وكشف أعداء الاسلام ومخططاتهم لهدم عقيدته وشريعته قديما وحديثا ، قد وضع المسلمين على الطريق الصحيح ، وجسد أمامهم المأساة التي يعيشون فيها ، وأوضح لهم طريق الخلاص الذي يتمثل بالعودة الحقيقية الى الكتاب والسنة ، والتخلص من جميع مظاهر الاستعمار العسكري والفكري والاقتصادي ، والاخذ بأسباب الحضارة والمدنية مع وجوب الاحتفاظ بالشخصية الاسلامية المستقلة .